بسم الله الرحمن الرحيم

الْيَقِينُ ٤ رَبِيعٍ الثَّانِي ١٤٤٧هـ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ؛ فَإِنَّ تَقْوَاهُ أَفْضَلُ مُكْتَسَبٍ، وَطَاعَتَهُ أَعْلَىٰ نَسَبٍ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ مَهْمَا تَفَاقَمَ الشَّرُّ وَتَرَاقَىٰ الْخَطَرُ وَالضُّرُّ، فَإِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ مَا قُضِيَ كَائِنٌ، وَمَا قُدِّرَ وَاجِبٌ، وَمَا سُطِّرَ مُنْتَظَرٌ، وَمَهْمَا يَشَأِ اللهُ يَكُنْ، وَمَا يَحْكُمُ بِهِ اللهُ يَحِقُّ، لَا رَافِعَ لِمَا وَضَعَ، وَلَا وَاضِعَ لِمَا رَفَعَ، وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَىٰ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ، وَمَا شَاءَ رَبُّنَا صَنَعَ، فَلَا جَزَعَ وَلَا هَلَعَ، وَإِنَّمَا صَبْرٌ وَمُصَابَرَةٌ، وَفَأْلٌ بِأَنَّ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ السُّلْطَةَ وَالِانْتِصَارَ وَالْفَلْجَ وَالظَّفَرَ، وَلِعَدُوِّهِمْ الذِّلَّةَ وَالصَّغَارَ وَالدَّمَارَ وَالْخَسَارَ، قَالَ تَعَالَىٰ :﴿وَاللهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ إِخْوَانَكُمُ الْمُسْلِمِينَ فِي فِلَسْطِينَ يُوَاجِهُونَ الْيَوْمَ حَرْبًا ضَرُوسًا، قَتْلٌ وَحِصَارٌ، وَتَجْوِيعٌ وَتَشْرِيدٌ وَدَمَارٌ، وَغَطْرَسَةٌ وَغُرُورٌ، وَاسْتِبْدَادٌ وَفُجُورٌ، وَصَدَقَ اللهُ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾.

عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ بَلَغَ السَّيْلُ زُبَاهُ، وَالْكَيْدُ مَدَاهُ، وَالظُّلْمُ مُنْتَهَاهُ، وَالظُّلْمُ لَا يَدُومُ وَلَا يَطُولُ، وَسَيَضْمَحِلُّ وَيَزُولُ، وَالدَّهْرُ ذُو صَرْفٍ يَدُورُ، وَسَيَعْلَمُ الظَّالِمُونَ عَاقِبَةَ الْغُرُورِ. أَيْنَ سَلَفُهُمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ، الَّتِي طَغَتْ وَتَجَبَّرَتْ فِي الْأَرْضِ؟ لَقَدْ نَزَلَتْ بِهِمُ الْفَوَاجِعُ، وَحَلَّتْ بِهِمُ الصَّوَاعِقُ وَالْقَوَارِعُ، فَهَلْ تَعِي لَهُمْ حِسًّا، أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا؟! قَالَ اللهُ ﷻ:﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَابُدَّ أَنْ نُوقِنَ بِأَنَّهُ مَهْمَا بَلَغَتْ قُوَّةُ الظَّلُومِ فَإِنَّهُ مَقْهُورٌ مَخْذُولٌ، وَأَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ حُدُوثًا صَرْعَةُ الظَّلُومِ، وَأَنْفَذُ السِّهَامِ دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، يَرْفَعُهَا الْحَيُّ الْقَيُّومُ فَوْقَ الْغُيُومِ، فَسُبْحَانَ مَنْ سَمِعَ أَنِينَ الْمُضْطَهَدِينَ الْمَهْمُومِينَ، وَسَمِعَ نِدَاءَ الْمَكْرُوبِينَ الْمَغْمُومِينَ؛ فَرَفَعَ لِلْمَظْلُومِ مَكَانًا، وَدَمَغَ الظَّالِمَ فَعَادَ

بَعْدَ الْعِزِّ مُهَانًا. فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللهِ بِالْيَقِينِ بِنَصْرِ اللهِ لِلْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ ذَلِكَ سَبَبٌ فِي النَّجَاةِ بِإِذْنِ اللهِ، أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِهِ «الْيَقِينِ»، وَحَسَّنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَجَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالْيَقِينِ وَالزُّهْدِ، وَيَهْلِكُ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالْبُخْلِ وَالْأَمَلِ».

عِبَادَ اللهِ: إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَسْرَعَ فِي خَرَابِ الْأَرْضِ، وَلَا أَفْسَدَ لِضَمَائِرِ الْخَلْقِ مِنَ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ، وَلَا يَكُونُ الْعُمْرَانُ حَيْثُ يَظْهَرُ الطُّغْيَانُ، وَإِنَّ الظَّالِمَ الْجَائِرَ سَيَظَلُّ مُحَاطًا بِكُلِّ مَشَاعِرِ الْكَرَاهِيَةِ وَالْعَدَاءِ، وَالْحِقْدِ وَالْبَغْضَاءِ، لَا يَعِيشُ فِي أَمَانٍ، وَلَا يَنْعَمُ بِسَلَامٍ، حَيَاتُهُ فِي قَلَقٍ، وَعَيْشُهُ فِي أَخْطَارٍ وَأَرَقٍ؛ لِأَنَّ الظُّلْمَ جَالِبُ الْإِحَنِ، وَمُسَبِّبُ الْمِحَنِ، وَالْجَوْرُ مَسْلَبَةٌ لِلنِّعَمِ مَجْلَبَةٌ لِلنِّقَمِ، وَقَدْ قِيلَ: الْأَمْنُ أَهْنَأُ عَيْشٍ، وَالْعَدْلُ أَقْوَى جَيْشٍ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: قَدْ يُنْعِمُ اللهُ عَلَى الْمُجْرِمِ الْبَاغِي نِعَمَ نَفْعٍ أَوْ نِعَمَ دَفْعٍ أَوْ نِعَمَ رَفْعٍ، وَلَكِنَّ هَذَا الْإِنْعَامَ وَالْإِعْطَاءَ مَا هُوَ إِلَّا اسْتِدْرَاجٌ وَإِمْهَالٌ وَإِمْلَاءٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾، وَقَالَ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ﴾. إِنَّهُ إِغْنَاءٌ مَشُوبٌ بِالْمَصَائِبِ وَالْأَرْزَاءِ، مُنَغَّصٌ بِالْأَمْرَاضِ وَالْأَدْوَاءِ، مُكَدَّرٌ بِالْخَوْفِ وَالرُّعْبِ وَعَدَمِ الْهَنَاءِ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾، وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ أَيْ: لَا يَغُرَّنَّكَ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الِاسْتِعْدَادِ وَالْإِمْدَادِ، لَا يَغُرَّنَّكَ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ التَّعَالِي وَالِاسْتِبْدَادِ، لَا يَغُرَّنَّكَ مَا يَمْلِكُونَ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْعُدَّةِ وَالْعَتَادِ.

عِبَادَ اللهِ: فِي الْأُمَّةِ الْيَوْمَ شَهَوَاتٌ وَمُتَعٌ، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةٌ وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَفِي الْأُمَّةِ مِنَ الِانْحِرَافِ الْعَقَدِيِّ

وَالْفَسَادِ الْقَلْبِيِّ مَا يُوجِبُ الْخِذْلَانَ وَالْحِرْمَانَ، فَعَلَىٰ الْأُمَّةِ أَنْ تَبْذُلَ الْجُهُودَ وَالْأَوْقَاتَ، وَأَنْ تُجَنِّدَ الدُّعَاةَ وَالْجُنُودَ لِنَشْرِ عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ، وَمُحَارَبَةِ أَلْوَانِ الشِّرْكِ وَالتَّنْدِيدِ، لِتَنْكَشِفَ عَنَّا الْغُمَّةُ، وَالْأَحْدَاثُ الْمُلِمَّةُ. وَلْيَعْلَمِ الدَّاعيةُ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ أَنَّ خَيْرَ مَا أَسَالَ فِيهِ مِدَادَهُ، وَأَكْثَرَ فِيهِ نُصْحَهُ وَإِرْشَادَهُ تَوْحِيدُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ وَالْقَصْدِ وَالْإِرَادَةِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّنَا نَعِيشُ فِي بَلَدِنَا فِي أَمَانٍ وَأَمْنٍ، يُوجِبُ الشُّكْرَ لِلَّهِ ذِي الْمَنِّ، وَإِنَّ مِنْ حَقِّ اللهِ عَلَيْنَا وَحَقِّ أَجْيَالِنَا وَأَوْطَانِنَا أَنْ نَكُونَ أَوْفِيَاءَ لِلْإِسْلَامِ، أُمَنَاءَ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَأَنْ نَتَطَهَّرَ مِنَ الْمَذَامِّ، وَخَبِيثِ الْبَتِّ وَالْإِعْلَامِ، وَأَنْ نَقُومَ عَلَىٰ أَجْيَالِنَا أَصْدَقَ قِيَامٍ، بِالتَّرْبِيَةِ وَالتَّأْدِيبِ، وَالتَّقْوِيمِ وَالتَّهْذِيبِ، فَلَنْ تُصَانَ حِمَىٰ الْأَوْطَانِ بِمِثْلِ طَاعَةِ الرَّحْمَنِ، وَهَذَا وَاللهِ طَرِيقُ الْخُرُوجِ مِنَ الْهَوَانِ، وَهَذَا سَبِيلُ النَّصْرِ بَانَ، وَهَذَا وَقْتُ التَّصْحِيحِ حَانَ، فَاسْتَدِيمُوا بِالطَّاعَةِ النِّعَمَ، بِرَغِيدِ عَيْشِهَا، وَطِيبِ أَمْنِهَا، وَنَفِيسِ زِينَتِهَا، وَاسْتَرْشِدُوا بِالْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ، الَّذِينَ هُمْ طِبُّ الْقُلُوبِ، وَمَرَايَا الْمَحَاسِنِ وَالْعُيُوبِ، وَهُمْ أَرْفَعُ النَّاسِ قَدْرًا، وَأَسْلَمُهُمْ فِكْرًا، وَأَمْكَنُهُمْ نَظَرًا، وَاحْذَرُوا دُعَاةَ الِانْفِتَاحِ وَالتَّجْدِيدِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ مَا هُمْ إِلَّا ضَرْبٌ مِنَ التَّبَعِيَّةِ وَالْمُسَايَرَةِ وَالتَّقْلِيدِ، لِحَيَاةِ شَرِّ الْخَلْقِ وَالْعَبِيدِ، وَلَا تَكُونُوا مِمَّنْ صَدَفَ عَنْ سَوَاءِ الصِّرَاطِ، وَحَادَ عَنْ سَبِيلِ الرَّشَادِ، وَسَلَكَ سَبِيلَ الْكِبْرِ وَالْعِنَادِ، لَا تَكُونُوا أَغْفَالًا مِنْ حُسْنِ الِاعْتِبَارِ، وَصَحِيحِ الِادِّكَارِ، فَتَزِلَّ بِكُمْ جَائِحَةُ الْعُقُوبَاتِ، وَبَوَادِرُ النِّقْمَاتِ، وَأَصِيخُوا السَّمْعَ لِقَوْلِ اللهِ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: اتَّقُوا اللهَ، فَإِنَّ تَقْوَاهُ أَقْوَىٰ ظَهِيرٍ وَأَوْفَىٰ نَصِيرٍ، كُلُّ أَمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَقِيرٌ، وَالْأُمُورُ إِلَيْهِ تَصِيرُ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مَا وَقَعَ عَلَىٰ أَهْلِ الْإِسْلَامِ مِنَ الظُّلْمِ الْكَثِيرِ، وَالْجَوْرِ الْكَبِيرِ، وَإِنَّ اللهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ.

عِبَادَ اللهِ: الدَّهْرُ طَرَفَانِ: عُسْرٌ وَيُسْرٌ، وَكُلُّ شِدَّةٍ إِلَىٰ رَخَاءٍ، وَكُلُّ غَمْرَةٍ إِلَىٰ انْجِلَاءٍ، وَإِنَّ بَعْدَ الْكَدَرِ

صَفْوًا، وَبَعْدَ الْمَطَرِ صَحْوًا، وَالشَّمْسُ تَغِيبُ ثُمَّ تُشْرِقُ، وَالرَّوْضُ يَذْبُلُ ثُمَّ يُورِقُ، وَلِلَّهِ أَيَّامٌ يُنْتَصَرُ فِيهَا مِنَ الْبَاغِي، وَيُنْتَقَمُ فِيهَا مِنَ الْعَاثِي، وَمَنْ عَرَفَ اللهَ فِي الرَّخَاءِ عَرَفَهُ فِي الشَّدَائِدِ، وَصَرَفَ عَنْهُ الْمَكَائِدَ، وَحَفِظَهُ وَهُوَ نَائِمٌ وَقَائِمٌ وَصَاحٍ وَرَاقِدٌ، فَتَحَلَّوْا بِالطَّاعَةِ، وَالْتَزِمُوا الْجَمَاعَةَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّشَاحُنَ وَالتَّطَاحُنَ، وَاحْذَرُوا الْجَدَلَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَالْعَمَلِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مَنْ فَعَلَ مَا شَاءَ لَقِيَ مَا سَاءَ، وَأَحْسَنُ الْجُنَّةِ لُزُومُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، عَلَىٰ نَهْجِ سَلَفِ الْأُمَّةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَىٰ الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾. قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ»: وَإِذَا تَزَوَّجَ الصَّبْرُ بِالْيَقِينِ وُلِدَ بَيْنَهُمَا حُصُولُ الْإِمَامَةِ فِي الدِّينِ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ، وَبِقَوْلِهِ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

وَخَصَّ سُبْحَانَهُ أَهْلَ الْيَقِينِ بِالِانْتِفَاعِ بِالْآيَاتِ وَالْبَرَاهِينِ، فَقَالَ، وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾.

وَخَصَّ أَهْلَ الْيَقِينِ بِالْهُدَىٰ وَالْفَلَاحِ مِنْ بَيْنِ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًىٰ مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وَأَخْبَرَ عَنْ أَهْلِ النَّارِ بِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الْيَقِينِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾... وَمَتَىٰ وَصَلَ الْيَقِينُ إِلَىٰ الْقَلْبِ امْتَلَأَ نُورًا وَإِشْرَاقًا، وَانْتَفَىٰ عَنْهُ كُلُّ رَيْبٍ وَشَكٍّ وَسَخَطٍ، وَهَمٍّ وَغَمٍّ، فَامْتَلَأَ مَحَبَّةً لِلَّهِ، وَخَوْفًا مِنْهُ، وَرِضًا بِهِ، وَشُكْرًا لَهُ، وَتَوَكُّلًا عَلَيْهِ، وَإِنَابَةً إِلَيْهِ. فَهُوَ مَادَّةُ جَمِيعِ الْمَقَامَاتِ، وَالْحَامِلُ لَهَا.